مجلة جامعة الخليل للبحوث
المجلد (6)، العدد (1)، ص (89-108)، 2011

الصفحة الإلكترونية للمجلة
http://www.hebron.edu/journal

الموت والحياة في شعر الخوارج في العصر الأموي: قطري بن الفجاءة نموذجا

*د. محمود الحلحولي
الجامعة الهاشمية

الملخـــص:

زاد الإحساس بالموت عند "الخوارج "بسبب كثرة الفتن والقتل في العهد الأموي، وهذا الإحساس كان يقتضي الحرية، والإيمان بالشخصيّة ،والشعر الخارجي "خلاصة تجربة حية، وصدى لمزايا الشاعر الخارجي الذي تغلب عليه الصراحة والجرأة في القول، وتنبع أفكار الخوارج في أصولها من القرآن الكريم، ولكنهم تطرفوا وغالوا في ترجيح جانب وإهمال آخر، حتى بدا كأنهم يرفضون الحياة الدنيا، ويعزفون عن التمتع بما فيها ، ورؤية ثنائية الحياة والموت في شعر الخوارج ، هي رؤية تُنْكر ثنائيتهما؛ فالحياة مثل الموت، وحداتٌ متكررة، ولا وجود للموت حقاً، فكل من يموت سعيد الحظ، ويصبح الخلود مثل الموت ، جزءاً من دائرة، وحركةً من الحضور إلى الغياب.وتتحقق من خلال الموت بهذا المفهوم حريةُ الخارجي وخلاصُه ؛ ولذلك كان الموت أمنية الخارجي؛ لما يرى من مكانة الشهيد في الحياة الأخروية الأبدية، وتلك قمة ثنائية الوجود ؛ فالشهيد تصدى لإرادة الموت دفاعاً عن عقيدته، وارتقى إلى ذروة الخلود الأبدي ، فمن الموت تتولَّدُ الحياة

Abstract :

The sense of death increased due to the frequent strife and killings during the Umayyad era. This sort of feeling typically requires freedom and personality faithfulness. The external poetry is the reflection of the life experience and the external poet's characteristics of openness and courage. Alkhawaarij ideas sprung from the Holy Quran but they – Alkhawaarij- were featured by their excessive belief in certain aspects and negligence of others which gave an impression that they would reject the secular life. The dual view of life and death in Alkhawaarij poetry was underestimated as death is a reflection of life, so when a person dies he actually enjoys a different type of life. Thus death to Alkhawaarij person means security and salvation which is considered another type life.

---

*بريد الباحـث الإلكتروني : asad@hu.edu.jo

المقدمة:

لا تكتسي فكرة الموت في سبيل الحق عند الحرورية× –من أوائل الخوارج– الأهمية الكبيرة التي ستكتسبها في الفترة اللاحقة ؛ فكل ما يرد على لسان الحرورية هو ذمّ الدنيا الفانية والتحريض على طلب الحق ، وهي الأفكار التي ستتعمق في المستقبل ، وستؤدي إلى تبلور مفهوم متميز للاستشهاد(1). وكان من الأسباب الداعية إلى الخروج: رفض التحكيم، والانتقام لضحايا النهروان، وصار من الأسباب– فيما بعد – ما هو مرتبط بقسوة الحكام الأمويين ورأي الخوارج فيهم بأنهم استأثروا بالفيء ، وهذا يؤكد ارتباط الحركة الخارجية بالواقع السياسي الجديد ، وتطوير شعاراتها بتطور الأحداث.

وقد اقترن تمسك الخوارج بالدين وإصرارهم على احتكاره بميلهم إلى الثورة والمخاطرة بأنفسهم وإنَّ انشغالهم المتواصل بالقتال عوّدهم على الموت ، إلا أن هذا التعوّد لم يؤد إلى دخولهم مع غيرهم من المسلمين في عنف عشوائي، إذ ظل القرآن حاضراً ومؤثراً، ولقد وجدوا في آياته التي تأولوها على أنها فيهم ، كالتي تحث على الجهاد ،وتمجد الشهداء، وتعدهم بنعيم الجنة ما يشجعهم على الثورة ،وقد نظروا إلى الحياة نظرة وفق منظور أحادي ، حيث يتم إقصاء الآخر في توجهاتهم القائمة على الثنائيات المبنية على الأضداد ، فهم الطرف الوحيد الممتلك للحقيقة ، واعتبروا أنهم أهل الحق" وسمّوا الأمويين وغيرهم من الفرق "الفئة الباغية" ، وأخرجوا مخالفيهم من دائرة الإيمان،وأعطاهم هذا الحق – من وجهة نظرهم – التصرف كيفما شاءوا باعتبار الآخرين أعداء لايصلح معهم إلا العنف ، ولا يستحقون إلا الموت . وقد أرهب ولاة بني أمية قسماً من هؤلاء الخوارج ، ودفعوهم إلى السكينة والهدوء ، ودفع قسماً آخر إلى الرد بعنف أقوى ، فاستنكروا الخضوع الكلي للسلطة ، ودعوا إلى الانتقام لضحايا النهروان والعنف الأموي. وكان شعر الأزارقة×من الخوارج تسجيلاً لبطولاتهم وانتصاراتهم الحربية المزعومة، ووجودهم كان سلسلة متصلة من المعارك، ورثاء لقتلاهم . وكانوا يرون الحرب التي يخوضونها "حربا مقدسة ، هدفها إعادة الحق إلى نصابه، وإقامة حكم الله ، فأخذوا يتسابقون إلى الموت وراء حياة ما بعد الموت"(2).وانتفى لديهم الصراع بين الحياة والموت ، وتحول الصراع مع الآخر الذي يقف ضد مبادئ الخارجي وقيمه ، وقد عرف الخوارج بالإخلاص الشديد لعقيدتهم، والشجاعة في حروبهم(3).

ولكن من أهم أسباب إخفاق حركات الخوارج : تفشي الخلافات داخل جماعتهم، وهي خلافات كان الباعث عليها في الغالب الاختلاف في المبدأ والرأي ، فقد تباينت آراؤهم في مسائل عدة، وأدّى ذلك إلى انقسامهم إلى فرق، ومما زاد من خطورة هذا الانقسام أنه كان يحدث في الأوقات العصيبة، إبان حروبهم، فكان يحرمهم من جني ثمار النصر، ويؤدي بهم إلى الهزائم(4).

وأظهر الأزارقة أن دار مخالفتهم دار كفر، لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، وقد كفّروا جميع المسلمين ما عداهم ، وقالوا بوصف المسلمين من غير الخوارج بالشرك ، وجواز قتلهم وعدم جواز نكاحهم وموارثتهم ، وبوجوب الخروج على الحاكم الجائر(5). وكان خروج نافع بن الأزرق من البصرة لما له من قوة وحماس ، وما في الوالي الأموي من ضعف ، وساعدهم على الخروج الفتنة القبلية في البصرة بين الأزد وربيعة ، وبني تميم وقيس(6). فهذا قطري يدعو سميرة إلى الخروج فيقول (7):

فإنَّ الذي قد نلت يفنى، وإنَّما
حياتك في الدنيا كوقعة طائر
فسر نحونا تلق الجهاد غنيمة
تُفدك ابتياعاً رابحاً غير خاسر

ومن عوامل ثورة الخوارج أنهم كانوا من أبناء البادية الذين اعتادوا خشونة العيش، وزادتهم تعاليم الإسلام ابتعاداً عن متعها، ودفعتهم إلى التعلق بالجوهر الدائم، ومن هنا ترد فكرة السأم والتبرم والزهد في الحياة، ومما يقوي هذا الشعور ما كانوا يتعرَّضون إليه ـــ برأيهم ـــ من الظلم والاضطهاد، وقد حلموا بتحقيق حياة أفضل تسود فيها قيمهم ومبادئهم، ولما كان ذلك خارج حدود قدرتهم الآنية استعاضوا عن ذلك ببديل نفسي آخر، يعوضهم عن سوء حياتهم، ويدفعهم إلى تضحيات كثيرة ليحظوا بولوج هذا العالم المشتهى، وكانوا في حمأة قتالهم يتنادون "الرواح الرواح إلى الجنة(8) يقول الحويرث الراسبي(9)

أقول لنفسي في الخلاء ألومها
هُبلتِ، دعيني فقد مللتُ من العمرِ
ومن عيشة لا خير فيها دنيئةٍ
مذممة عند الكرام ذوي الصبرِ

وطبيعي أن يظهر من يبغي تقويم الأوضاع السيئة التي وصلت إليها الدولة الإسلامية الناشئة، وكان الخوارج من دعاة التغيير، تعلقت آمالهم بتحقيق مبادئه في العدالة والمساواة، وكانت ظاهرة الخوارج نتاج تراكم ظروف حادت بالسلطة الأموية عن التوافق الكلي مع مبادئ الإسلام وقيمه. فقيام الحكم الأموي في نظرهم "كان متنافياً مع رغبة الأغلبية، وكان تعبيراً عن مطامح طبقة تجارية أرستقراطية استغلت الإسلام شعاراً لرغباتها في الحكم"(10). ومعظم الأحزاب وُجِدت بدافع الخلافة أو السلطة، والخوارج منهم عبرّوا عن روح إسلاميّة في هذه المسألة ، فالخلافة ليست حكراً على قبيلة قريش ولا لجنس العرب ، وإنما هي عندهم لأكفأ المسلمين ممن يتميز بالعدل والتقوى والعلم ، وممن تنتخبه الأمة الإسلامية.

ولم يكتف الخوارج بإعلان رأيهم الصريح في قضايا عصرهم ، بل كافحوا من أجلها كفاحاً مريراً، ونذروا أنفسهم لتحقيق أمانيهم ، وهان عليهم الموت في سبيل ذلك ، وتصطبغ حياتهم بالزهد والتقوى إلى حد كبير، والدعوة إلى الثورة على الإمام الجائر، فدولة الأمويين عندهم دولة الأشرار. إذ يقول عبدالله بن وهب الراسبي:(11).

أنا ابن وهب الراسبي الشاري
أضرب في القوم لأخذ بالثار
حتى تزول دولة الأشرار
ويرجع الحق إلى الأخيار

2

الحياة والموت :ثنائية أم تماه واندماج .الموت حقيقة واقعة لا ريب فيها، وقد أكّد الإسلام أن الموت ليس نهاية المطاف ، إذْ يُبعث الإنسان إلى حياة الأبدية ؛ فإنْ كان من الصالحين كان من أهل النعيم ، وقد انعكست هذه العقيدة في أشعار الخوارج بصورة لافتة ، وكانت تدفع بهم ليواجهوا الموت ويطلبونه(12). وقد أذكى الإحساس بالموت عند الخوارج كثرة الفتن والقتل في العهد الأموي، وهذا الإحساس كان "يقتضي الحرية، والإيمان بالشخصيّة"(13)،والحرية هي القدرة على مواصلة الاتصال في وجه الموت وهي صدى للإحساس بالحياة والوجود ؛ وذلك أن "الموت هو التهديد المستمر في وجدان الإنسان لوجوده ؛ فتصبح الحياة كفاحاً ضد تجارب الموت".(14)،

والشعر الخارجي "خلاصة تجربة حية، وصدى لمزايا الشاعر الخارجي الذي تغلب عليه الصراحة والجرأة في القول، وتنبع أفكار الخوارج في أصولها من القرآن الكريم، ولكنهم تطرفوا وغالوا في ترجيح جانب وإهمال آخر، حتى بدا كأنهم يرفضون الحياة الدنيا، ويعزفون عن التمتع بما فيها من نعم أحلَّها الله لعباده، فأعرضوا عنها ونبذوها "(15) ؛ على أنَّ ثمة آيات تدعو المسلم إلى أخذ نصيبه من الدنيا

والتمتع بخيراتها في حدود ما رسمه الإسلام(16).

وقد جاء شعر الخوارج مصطبغاً بصبغة دينية في إطار العقيدة الخارجية، و"تمتع شعراؤهم بالعديد من الصفات التي يمكن أن تُقال في كل خارجي صادق في عقيدته، فأدى ذلك إلى تشابه شخصياتهم الشعريّة، وتماثل شعرهم في الصورة العامة الكبرى"(17).

وكانت الخوارج "ثوريّة تحمل مُثلاً دينية، دون أن تتبلور في عقولهم عقيدة واضحة المعالم، ولعل ذلك جعلهم أميل إلى التطرف والانفعال منه إلى العمل الفكري الهادئ المنظم. ولعّل الشروط التي وُجد فيها الخوارج لم تسمح لهم بتعميق مبادئهم وعقلنتها"(18)، فمنذ تكونهم لم تهدأ ثوراتهم، وكلمّا فنيت جماعة تبعتها أخرى.

وكانت أشعارهم تفيض بنزعة تشاؤمية ، ربما يكون مرّدها الظروف القاسية التي عاشوا في كنفها، إذْ لم تجف دماؤهم طوال العصر الأموي، "وذلك بعد أن أجمع المسلمون على محاربتهم، ولم يتمكنوا من تحقيق الاستقرار السياسي لمّا "نظروا إلى الحياة الدنيا بمنظار قاتم، فلم يروا جمالها"(19). وأثروا العيش في حلم جنات الآخرة، وأغلب أبيات الخوارج تتحرك في فضاء من التصّورات الثنائية المتشكلة في إطار الموت والحياة، ولو داخلياً على صعيد الحسّ والانفعال ، بعدما عجزوا عن تحقيق حلمهم في واقعهم الذي يعيشون فيه؛ إذ يصطرع في نفس الشاعر الخارجي عالمان متناقضان، الواقع الذي يعيش فيه بما يتضمن من بؤس وظلم وانتهاك للحرمات، وعالم الحلم الذي يطمح إليه ، بما فيه من العدالة والسكينة. و"البرزخ الذي يفصل بين العالمين هو الموت، لذلك يطمح كل خارجي إلى عبور هذا البرزخ بغية الوصول إلى عالم أحلامه"(20). يقول أحد شعرائهم(21):

إنني شارٍ بنفسي لربّي   تاركٌ قيلاً لديهم وقـالا
بائعٌ أهلي ومالي أرجو   في جنان الخلد أهلاً ومالا

ورؤية ثنائية الحياة والموت في شعر الخوارج ، هي رؤية تُنْكر ثنائيتهما؛ فالحياة مثل الموت، وحداتٌ متكررة، ولا وجود للموت حقاً، فكل من يموت سعيد الحظ، ويصبح الخلود مثل الموت ، جزءاً من دائرة، وحركةً من الحضور إلى الغياب.

وتتحقق من خلال الموت بهذا المفهوم حريةُ الخارجي وخلاصُه ؛ ولذلك كان الموت أمنية الخارجي ؛لما يُرى من مكانة الشهيد في الحياة الأخروية الأبدية، وتلك قمة ثنائية الوجود ؛ فالشهيد تصدى لإرادة الموت دفاعاً عن عقيدته، وارتقى إلى ذروة الخلود الأبدي ، وهكذا تعود الحياة ثانية رغم الموت ، فمن الموت تتولَّدُ الحياة. قال تعالى: (ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)(22)قال تعالى: (ولا تقولوا لمن يقُتل في سبيل الله أموات بل أحياء) (23) .والموت عند الشاعر الخارجي يتداخل مع الحياة باعتباره جزءاً من الحياة ومرحلة منها، وإن الانتصار على الموت يتم عبر مفهوم الخلود بالمعنى المعنوي في جنات النعيم . وإذا كان الموت في العلم الطبيعي يوصف بأنه "توقف أعضاء الجسم الرئيسة عن العمل، كالقلب والدماغ، فإنَّ المسلم يَرى الموت موت الجسد، أما موت الإنسان بوصفه روحاً وجسداً، فإنه"ينظر إليه على أنه نهاية وبداية"(24). وتبحث النماذج الشعرية الخارجية التي قامت على منطلق رفض هوان الحياة، المتمثل في النكوص عن المواجهة -هذه النماذج تبحث عن "شرف القتل في ميدان التحدي وإمكان الخلود في الآخرة ولذلك صبروا في القتال"(25)؛ لأن الموت الكريم لديهم أشهى من العسل ، والموت أمنية مشتهاة. وبهذا اليقين اندفع الخوارج إلى ميادين القتال ، معتمدين الثورة طريقاً لبلوغ أهدافهم، ، قال البهلول الشيباني (26):-

مَنْ كان يكره أن يلقى منيّته
فالموت أشهى إلى قلبي من العسلِ

فلا التَّقدم في الهيجاء يعجلني
ولا الحـذار ينجّيني من الأجل

وما دام الموت يأتي في ميعاد محدد، فإنَّ الخارجي ربما يستعجل ذلك الميعاد، ويسعى إليه، ليس لأن الموت يخلصه من سواد الحياة، وإنما يُقرِّبه من معانقة حلمه في الخلود، ويخلصه من الصراع على السلطة، وكثرة الخلاف والتباين الاجتماعي القائم على المفارقة بين الأفكار والمثل والواقع المعيشي. وهذا كلّه" ترك أثراً على نفسيّة الشاعر الخارجي الذي كان يعاني صراعاً مع نفسه، وصراعاً مع الواقع ،... "(27) .ويمثل الانتصار على الواقع بالموت"مُطَهِّراً حقيقياً للنفس، تُبعث بعده نقيّه من آثام الحياة، وإذا كانت الظروف القائمة لا تسمح بانتصار الخوارج ، فإن الموت يروق لهم ، كأنه المخلص الوحيد من سوء الواقع ، وهذا الموت ذو مضمون إيجابي ؛ لأنه لم يكن هروباً من مواجهة الحياة، بل كان سعياً متواصلاً لإحلال قيم الحق والعدالة"(28)، يقول شاعرهم(29):-

وإنَّ كريَه الموتِ عذبٌ مذاقهُ
إذا ما مزجناه بطيبٍ من الذكرِ.

فالشاعر الخارجي يبيع نفسه لله ، ويؤثر الموت من أجل الحياة المرتبطة بالقيمة، وبهذا "يجعل من الموت وجهاً آخر للحياة يقوده إلى الخلاص"(30). وتتردد في شعر الحرب عند الخوارج إرادة قوية، وعزيمة لا تلين، وروح جبّارة ،وتعبير بالفن عن عقيدتهم بالخلود، يقول شاعرهم مرداس بن أدية (31):-

ولكننا نلقي القنا بنحورنا
وبالهام نلقي كلّ أبيض ذي أثرِ
إذا جشأت نفس الجبان وهلّت
صبرنا، ولو كان القيامُ على الجمرِ

ويعيب شعراء الخوارج على أعدائهم عدم ثباتهم على عقيدة ، إذْ تميل أهواؤهم حسب أعطيّاتهم التي ينالونها ، قال عمران بن حطان لما سمع بعض الشرط يقولون: ومالنا لا نقاتل الخوارج؟ أليست أعطياتنا دارّة؟ (32):

فلو بعثتَ بعض اليهود عليهم
يَؤُمهم ، أو بعض مَنْ قد تنصَّـرا
لقالوا رضينا أن أقمت عطاءنا وأجريتَ
ذاك الفرض من برّ كسكرا

ويقول عمران بن حطان(33):-

حتى متى تُسقى النفوسُ بكاسها
ريبَ المنون وأنت لاهٍ ترتـعُ
أفقد رضيت بأن تعلّل بالمنى
وإلى المنية كل يوم تدفـعُ
أحلام نوم أو كظلٍ زائـل
إن اللبيب بمثلها لا يخدعُ
فتزوّدنْ ليوم فقـرك دائباً
واجمع لنفسك لا لغيرك تجمعُ

ووارتجزت أم حكيم بأمنية غريبة صورت فيها وضعها الأنثوي زوجة تتجمل وتتزين للحياة ثم تزفر بأمنية المناضلة الشرسة التي تفوق جسارتها الرجال تقول(34):

أحمل رأساً قد سئمت حَمْله
وقد مَللتُ دَهْنه وغسلَه
ألا فتىً يحمل عني ثِقْلَه؟

ويقول عروة بن أُدية(35):-

لَعَمْرُك ما بالموتِ عارٌ على الفتى
إذا ما الفتى لاقى الحِمام كريما
ولكنما ضرُّ الحياة وعارُها
أحال عليه أن يموت ذميما

و"ثمة تلازم بين العقيدة الخارجية والشعر الخارجي، والآثار الموجبة والسالبة التي نجمت عن هذا التلازم، فقد اضطلع ذلك الشعر بنقد الحياة العامة، ومهاجمة عيوب المجتمع، وعيوب الدولة. فمن صور ذلك النقد الثورة على الحرص والجشع

وحشد الأموال"... يقول الطرماح"(36):–

عجبت ماعجبت من جامع الما
لـ يباهي به ويرتفدهُ
ويُضِيع الذي يصيره اللـهُ
إليه ، فليس يعتقدُه
يوم لا ينفع المخول ذا الثر
وة خلانه ولا ولدهُ
يوم يؤتى به وخصماه وسط
الجن الإنس رجله ويدهُ
إنما الناس مثل نابتة الزر
ع متى يأن،يأت محتصدهُ(36(

ويقول الطرماح بن حكيم في الخوارج:(37)

منْ يرمْ جمعهمْ يجدهُمْ مراجيـ
حَ حُمَاة ً لِلْعُزَّلِ الأحْرَاضِ
طيِّبي أنفسٍ، إذا رهبُوا الغا
رة َ نمشي إلى الحتوفِ القواضي
كلُّ مستأنسٍ إلى الموتِ، قدْ خا
ضَ إليه بالسَّيفِ كلَّ مخاضِ

وفي نقد السياسة العامة، نسمع قول عمران بن حطان(38):–

حتى متى لا نرى عدلاً نعيش به
ولا نرى لدعاة الحق أعوانا

ومثل ذلك قول أبي بلال مرداس بن أدية(39):–

وقد أظهر الجور الولاة وأجمعوا
على ظلم أهل الحق بالغدر والكفرِ

ويقول عمران بن حطان مخاطباً زوجته(40):

إن كنتِ كارهةً للموتِ فارتحلي
ثم اطلبي أهلَ أرضٍ لا يموتونا
فلستِ واجدةً أرضاً بها بشـرٌ
إلاّ يروحونَ أفواجاً ويَغْدونـا
إلى القبور، فما تنفك أربعـة
تدني سريراً إلى لحد يمشونا
يا جمر ، قد مات مرداس وإخوته
وقبل موتهمُ مـات النبيونا

ويقول عبيدة بن هلال الشكري(41):

لعمري لقد بِعْنا الحياة وطيبَها
برضوان ربٍ بالخلائق عالمِ

وفي شعر الخوارج إشارات كثيرة تؤكد هذا المعنى(42)، وهذا التسابق نحو الموت لا نجد له مثيلاً لدى الفرق الأخرى، فالموت عند الخوارج يفضي إلى نعيم لا يزول ، وموت أعدائهم يقودهم إلى جحيم مؤبد . وبهذا اليقين كانوا يطلبون الموت. فالكل صائر إلى موت محقق، وعزاء الخوارج أن أحدهم لم يمت حتف أنفه، بل كان مثلاً يُحتذى في التضحية.

وحزن الخوارج لا يقود إلى اليأس وانقطاع الرجاء، بل يحفز الآخرين على المضي في الطريق الذي رسمه السابقون باستشهادهم، ويجعلهم يغبطونهم على منزلتهم السامية في دار الخلود.

وهم لم يحاربوا أعداءهم فحسب، بل "حاربوا رغبات النفس ونزواتها ، إذا ما تعارضت مع مبادئ عقيدتهم ، ولعل إيمانهم الراسخ بحسن الجزاء الذي سينالونه قد عمق هذا التوجه نحو القيم والمثل، على حساب الحاجات الجسدية كالطعام والشراب والنوم"(43).وربط شعراء الخوارج بين الموت، الذي هو التهديد الأول لوجودهم البشري، وبين الزمن المستقبل الذي يخبئ اليوم المحتوم، فكان الشاعرالخارجي "لا يطمئن لمستقبله في الزمن، وألمه البالغ بسبب ما يعانيه من فداحة موت الآخر يدفعه إلى أن يتمنى أنه قُتل ولم يعش ليرى القتلى ،فالخوارج يتقدمون على الموت، ورغبتهم في الموت في سبيل عقيدتهم تغلب رغبتهم في تحقيق أهدافهم التي خرجوا انتصاراً لها ، وحتى ليصبح رفض الحياة وطلب الموت لديهم هدفاً يطلب لذاته".(44)

الحياة والموت :صراع أم انصياع

كل هذا الذي سبق لا ينفي إنسانية الشعر الخارجي في خوفه من صراع الموت والحياة في نطاق مفاهيمهم الخاصة واجتهاداتهم وتأويلاتهم الفاسدة من وجهة نظر مخالفيهم، إذْ يقول عيسى بن فاتك أحد شعرائهم أيام معاوية في حبّه للحياة وخوفه من الموت(45):

لقد زاد الحياة إليَّ حبّا
بناتي إنهن من الضِعافِ
فلولا ذاك قد سوّمت مهري
وفي الرحمن للضعفاء كافِ

وهذا عمران بن حطان مثال حيّ للإنسان الذي تصطرع في نفسه مخافة الموت وحب الحياة فمع رغبة في الموت ، مبعثها المبادئ التي آمن بها بتأويل خاص ، وحب غريزي للحياة قد تولد الصراع ، وبازدياد عنفه صارت الحياة و الموت على طرفي نقيض في نفسه ، فلم يستطع أن يحسم هذا الصراع، وليس معنى قعوده أنه آثر الحياة على الموت ، فالصراع لم يتوقف في نفسه، فقد حلّ الموت المجرد محل الاستشهاد، وفي ظل هذا الصراع العنيف اتخذ الموت عمقاً فلسفياً رائعاً لم يُعرف به أحد من شعراء الخوارج غيره. وهو بذلك يكشف عن جوهر النفس الإنسانية بما يصوره شعره من ضعفها أمام الحياة، وتعلقه بها دون إذعان للمثالية أو تشدق بها .

يقول عمران : (46)

إذا ما تذكرت الحياة وطيبها
إليَّ ، جرى دمعٌ من العين غاسق

فهذا مثال على صدق الصراع في نفسه وحتمية الجدلية بين الحياة والموت. يظل صدى الحياة يتردد في نفس عمران مع الإحساس بالفناء يسري فيها(47):

أرانا لا نملّ العيش فيها
وأُولعنا بحرصٍ وانتظارِ
ولا تبقى ولا نبقى عليها
ولا في الأمر نأخذ بالخيارِ
ولكنا الغداة بنو سبيلٍ
على شَرَف يّيسر لانحدارِ

وتظل مأساة الموت تصطرع في نفس عمران مع حب الحياة ، ولكنه يحب الموت في موقف كموقف أبي بلال المرداسي الذي يرثيه(48):

لقد زاد الحياة إليّ بُغضاً
وحبّاً للخروج أبو بلال
أحاذرُ أَنْ أموتَ على فراشي
وأرجو الموت تحت ذُرى العوالي
فمن يك همّه الدنيا فإني
لها –والله ربِّ البيت– قالي

وإن الموت لا يعجزه شيء إلا الذي خلقه، يقول الطرماح(49):

لا يعجز الموت شيءٌ دون خالقه والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجلُ فالتفكير في اليوم الآخر يدفعه إلى لوم نفسه على ما هو فيه من لهو وانسياق وراء الأماني. ونجد "النزعة الزهدية عند الخوارج تدور في رحى أفكارهم حول الحياة والموت ، وتقوى الله التي يرونها ضمانة الخلود"(50)1، والشوق والخوف قرينان للخلود في الجنة أو النار .

وكان الزهد منتشراً في الخوارج لكثرة ما أصابهم من التسلط السياسي والقهر الاجتماعي على يد الأمويين ، ولذلك تحفل حياة الخوارج بالكثير من المواقف والمشاهد التي يتجلى الخارجي متعبداً ضارعاً لله، قال عيسى بن فاتك يصف أصحابه(51):

أطار الخوفُ نومَهم فقاموا
وأهل الأمن في الدنيا هجوع

ومع كثرة عبادتهم سيطر عليهم شعور الخوف من عذاب الآخرة، فهذا الزهد أورثهم الشجاعة، ولم يورثهم الخوف أو الانسحاب.قال عبدالله بن أبي الحوساء(52):

لقد علمتً وَخير القول أنفعه
أن السعيد الذي ينجو من النار

وأصبح اندفاعهم إلى طلب "الشهادة" التي هي رمز الخلود السعيد في الجنة(53). يقول مرداس(54):

ما إن نُبالي إذا أرواحنا خرجت
ماذا فعلتم بأجسادٍ وأوصال

والزهد يمثل حالة الرفض والاغتراب التي يعانونها،" فعدم الشعور بالانتماء للمواقف العام أدى بهم إلى انعدام الشعور بمغزى الحياة والتلذذ بنعيمها"(55)، ومن لا يستطيع الاستمتاع بالدنيا يستعجل الخلاص فيها. يقول قيس النوري:"إن المجتمع عندما يضطرب نتيجة أزمة من الأزمات فإنه يصبح غير قادر على ممارسة تأثيره، وهذا ما يسبب الارتفاع في معدلات وقوع الانتحار" (56). ولعل الخوارج في حروبها تعمد إلى حالة من الموت الجماعي، والموت على أيدي الأعداء هو أمل المحاربين منهم فالاستمتاع بالموت والغبطة عليه من سمات شعر الخوارج ،وطموحهم إلى بلوغ المثل العليا كان يسم تجربتهم بطابع البعد عن الواقع ، وقد قضوا حياتهم سعياً لتحقيق حلم صعب التحقيق ، وإن التضحيات التي قدمّوها ، وإجماع القوى الأخرى على حربهم ترك أثره في نفسيتهم، وفي سلوكهم ، فبرزت عندهم ظاهرة الزهد بالحياة ، وهم يعيشون ضمن منظومة من الأفكار والأحلام التي يعاند الواقع تحقيقها، لما فيها من التطرف.

ولا غرابة أن يكون العدو حبيباً؛ لأنه الوسيلة التي يبلغ بها الخارجي غايته. ولا تكتمل دائرة التقوى في حياة الخارجي إلا بالاستشهاد،(57):

يمضون قد كسروا الجفون إلى الوغى
متبسمين، وفيهم استبشـارُ
فكأنما أعداؤهـم أحبابهم
فرحاً إذا خطر القنا الخطّارُ
ولقد مضوا وأنـا الحبيب إليهمُ
وهـمُ لديّ أحبّةٌ أبـرارُ

والموت "اختياراً هو الأمل ، والموت : إطلاق الروح إرادياً لتعيش في الحياة الآخرة الواسعة، وليس وجودهم مقابل وجود أعدائهم، فالأعداء هم رسل الدنيا لإرسال الخوارج إلى النعيم ، وإذا كان أعداء الخوارج يساقون إلى الحرب كرهاً أو طمعاً في الأعطيات والغنائم، فإن الخارجي يمضي لملاقاة أعدائه بنفسٍ مطمئنة واستصغار للموت"(58). يقول كعب بن عميرة"(59) ::

و ياربّ هبّ لي ضربةً بمهندٍ
حسامٍ إذا لاقى الضريبة يهبرُ

ويدفعهم حث النفس على اقتحام الموت في سبيل الله أن الموت يصبح طريقاً إلى الحياة، والمدخل المؤدي إلى الخلود في ظلال النعيم المقيم. يقول أحد شعرائهم (60):

يا نفس من طول الحياة مليّ
وعيشك، المنقطع المُوَلّيّ
لعليّ ألقى عاصماً ، لعَليّ
في جنة عالية ، وظلّ

فهذه هي خصائلهم :"استهتار بالموت ومباهاة بالقوة ، وتحد للخطر واستنزاف لطاقة الحياة- الخمر والنساء"(61).

ونخلص إلى أن الموت يُشَكِّل الخط المركزي المهيمن على كثير من قصائد الخوارج، بل كاد يكون الموضوع الوحيد الذي جالت قصائد ديوانهم في معانيه، إلا أن هذا التوسع الأفقي لخط المواجهة مع الموت، لا يجعله غامضاً يهبط في لحظة ليسلب الحياة، ويطفئ نورها، وإنما يجعله مرحلة من مراحل الخلود، لذا لم يكن الموت برغم ارتفاع درجته في الخطاب الشعري هو المسيطر، بل هناك إشراقات وومضات تضيء.

قطري بن الفجاءة

لمّا اتخذ الخوارج قرارهم بالاستقرار في الأهواز بقيادة نافع بن الأزرق ، وتدهور أمن البصرة، طردوا عمال السلطان عن الأهواز ،وتولى نافع مناظرة الناس والكتابة إلى أهل البصرة يحثهم على الخروج، ودارت معارك الخوارج والمهلب، وكان أن انضم بعد معارك دولاب من سكان المنطقة من ذوي المكانة الاجتماعية الضعيفة ، لأنها رأت في ذلك وسيلة للتعبير عن رفضها لحكم بني أمية، ولما قتل الزبير الماحوز أشار عبيدة بن هلال على أصحابه باختيار قطري لأنه "يطاعن في قُبل ويحمي في دُبر فالكفاءة العسكرية كانت عاملاً أساسياً في ترشيح قطري 71هـ . ولما استفحل أمر الخلاف بين زعماء الأزارقة اتخذ الخلاف طابعاً عنصرياً ، فكان تكتل الموالي والأعاجم ضد أميرهم قطري ومن معه من العرب ، وكان أكثر الشعراء من المحاربين الفرسان الذين يخوضون المعارك بسيوفهم وألسنتهم(62).

وقطري(63) من أشراف تميم ، ولم يكن متطرفاً ، بل أظهر تسامُحاً ، فلا يعدّ القاعد كافراً واعتداله أدى إلى انضمام أعداد كبيرة إلى صفوف الخوارج ، وهو شاعر رقيق لا يميل إلى العنف خارج حدود تطبيق مبادئ الحركة والدفاع عنها، كما قد يكون انضمامه المتأخر إلى صفوف الخوارج من الأسباب التي جعلته لا يتأثر كثيراً بالأفكار الصلبة لبعض زعمائها من الأوائل. وتميز قطري عن الزعماء السابقين للحركة بتأثره بالعصبية القبلية يقول(64):

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت
طعان فتى في الحرب غير ذميمِ
غداة طفت ع الماء بكر بن وائل
وألافها من حمير وسليم
ومال الحجازيون نحو بلادهم
وعجنا صدور الخيل نحو تميمِ
وكان لعبد القيس أوّل جدّها
وولتّ شيوخ الأزد فهي تحوم

ففي عمق الأحداث وخلفياتها، كانت ما تزال القبليةَ جاثمة أو فاعلة، وتتدخل في التقسيمات الاجتماعية والسياسية . وكان المهلب لا يقاتل إلا إذا تعرّض لهجوم أو أحسّ أن الفرصة مناسبة لتحقيق انتصار على الخوارج ، أما في ما عدا ذلك فهو متحصن في مركزه "وقال قطري في حنكة المهلب: إذا أخذتم بطرف الثوب أخذ بطرفه الآخر يمده إذا أرسلتموه ، ويرسله إذا مددتموه، لا يبدؤكم إلا أن تبدؤوه، إلا أن يرى فرصة فينتهزها"(65)، وهذه المطاولة لها ما يبررها، لأن محاربة الخوارج كانت تتطلب الخبرة والحنكة..

يقول قطري بن الفجاءة في حواره مع نفسه(66):

أقولُ لها وقَد طارت شَعاعاً
مِنَ الأبطالِ وَيحَكِ لَن تُراعي
فَإِنَّكِ لَو سَأَلتِ بَقاءَ يَومٍ
عَلى الأَجَلِ الذي لَكِ لَم تُطاعي
فَصَبراً في مَجالِ المَوتِ صَبراً
فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب الحياة بثوب عزّ
فَيُطوى عَن أَخي الخَنعِ اليُراعُ
سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حيّ
فداعيَه لأهلِ الأرضِ داعي
ومن لا يُعتَبَط يَسأم ويَهرَم
وَتسلِمه المَنون إلى انقِطاعِ
ومَا لِلمرءِ خَيرٌ في حَياةٍ
إذا ما عُدّ من سَقَطِ المَتَاعِ

فالفكرة في النص جلية واضحة ، تدور حول بث العزيمة في نفس خائفة – ذكرها بضمير الغائب "لها"– وعنفها تارة ورغبها أخرى وصولا إلى الخلود ،فالعمر يا نفس قدر مقدور، وأجل محتوم وهيهات أن يزيد فيه خوف، أو يطيله تضرّع أو

رجاء. فاصبري يا نفس في مجال الموت ؛ إذ لا سبيل أبداً إلى الخلود. وهذه الحياة ليست بثوب عزّ، فهي تتلبس القوي الماجد كما تتلبس الواهن العاجز. وبقاؤها ليس دليل عزّ ولا شارة مجد، ولو كان الأمر كذلك لما طوت ثوبها عن الخانع الذليل. وحين يدعو داعي الموت أحداً من أهل الأرض فلا بد له أن يجيب ، والإنسان إما أن يموت شاباً قوياً بغيرعلة ولا مرض ، وإما أن يمتد به الزمن فيصير إلى هرم وشيخوخة وضعف، فيُرد إلى أرذل العمر، ثم ينتهي ، ولكن ما خير الحياة حين تكون بلا مجد، وعندما يغيب الإنسان عن الحياة دون أن يخلف في صفحاتها مجداً ، فكأنه كان لِقىً مهملاً. والموت نهاية المطاف لحياة الجسد، والإنسان يصارع في نفسه رغبة الخلود، وخوف الموت ، وهو ينكر على نفسه هذا الوهم الذي يستبد به في التطلع إلى الخلود في الدنيا.

وإن استرسال الشاعر بإيراد ما يؤكد نهاية الحياة ويدلل على فنائها ، قاده إلى القول إن من تطول به الحياة سيصيبه الهرم ويسأم ؛ لأنه يشعر أن لا فائدة من حياته ، وإن الموت الكريم هو بأن يجعل جهاده منزّ ها عن الشوائب, فقد ربط حياته ومماته بواجب مقدس, تصغرأمامه الحياة الدنيا.

ولعل جمال هذه القصيدة : " يكمن في الحوار الذي بدأه الشاعر مع نفسه ، فإذا هو إنسان يحيا في الناس، تشده الحياة إليها ويأخذه الفزع عند رؤية الأبطال، فكأنما هي قوة البقاء التي تصارع القدر، وترفض الموت والفناء، ولكي لا يقع فريسة سهلة أمام نفسه التي تدفعه إلى التخاذل ،أخذ يشحذها بالإرادة والعزم، ويدفعها إلى الصبر والثبات؛ لأن إرادة القدر لا تدفع، والموت أمر لا محالة واقع، فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون"(67).

كان ذلك بعض نجوى قطري بن الفجاءة، وهذه القصيدة قال فيها ابن خلكان إنها "تشجع أجبن خلق الله"(68) ، ولقد وعت تلك النفس الدرس جيداً، فظل صاحبه يخوض في مجال الموت غمرات وغمرات، مُقبلاً غير مدبر ،حتى لقي الموت.

ويقول قطري واصفاً شجاعته وإقدامه ،جامعا في هذه الأبيات بين ثقة الذات بفردانيتها مع تجاوز المحظور الى استعذاب المغامرة ، بحثا عن مجالات مظلمة في مساحات الذهن والأحاسيس. فيستحيل تواجده الفني إلى واقع تفاعلي نستشعره بمحمول هذا التقاذف اللفظي، والجرس الصوتي الكامن وراء الدلالات اللفظية ، والتفريعات المعنوية في ظل" بحر الموت "الذي يطّردُ ، يقول قطري (69):

يا رُبَّ ظِلّ عقاب قد وقيت بها
مهري من الشمس والأبطال تجتلدُ
ورُبَّ يوم حمىً أرعيت عقوته
خيلي اقتصاراً وأطراف القنا قصدُ
ويوم لهوٍ لأهل الخفض ظل به
لهوي اصطلاء الوغى أو ناره تقدُ
مشهّراً موقفي والحرب كاشفة
عنها القناعَ وبحر الموت يطّردُ
ورب هاجرة تغلي مراجلها
مخرتها بمطايا غارةٍ تخدُ
فإن أمُت حتف أنفي لا أمت كمداً
على الطعان ،وقصر العاجز الكمدُ
ولم أقل لم أساق الموت شاربه
في كأسه والمنايا شُرَّعٌ وردُ

إن تتبع الصوت في هذه الأبيات ودراسته قد يكون معينا على فهم الحالة النفسية لهذه الذات المبدعة واستخراج حكم صادق على العاطفة الشعرية ، نلمح نماذج هذه القيمة الصوتية في هذه الأبيات التي تتشكل متناسبة مع الموقف ، وهنا حيث يختار الأنسب من الأصوات المجهورة-بوعي أو لاوعي – وهي الأصوات التي تكثر في المواقع التي تتطلب نبرة عالية أو صوتا مرتفعا كالحرب وأهوالها ، وهكذا يصبح الإقدام على مثل هذا الموت موقفاً من أجل

الحياة ، وهو الموت المفضي إلى الحياة ، فهو بداية الحياة ، وبالإصرار على مقاومته اختيارا محاولة لتأكيد وجود الشاعر ، وتلاحظ تكرارالحرف ربّ ، إن هذا التكرار تتجلى فيه فائدة دلالية كبيرة تتمحور في التأكيد ،وتقوية المعنى وتثبيته.

وقال أيضا (70):

إلى كم تعاديني السيوف ولا أرى
مغارتها تهدي إليّ ِحماميا
أقارع عن دار الخلود ولا أرى
بقاءً على حالٍ لمن ليس باقيا
ولو قرّب الموت القراع لقد أنَّى
لموتي أن يدنو لطول قراعيا
أغادي جلاد المعلمين كأنني
على العسل الماذي أصبح غاديا
وأدعو الكماةَ للنزال إذا القنا
تحطم فيما بيننا من طعانيا
ولست أرى نفساً تموت وإن دنت
من الموت حتى يبعث الله داعيا

ففي أول كل شطر يخرج الفعل المضارع ليحدث إيقاعا حركيا متتابعا يتناسب مع تتابع الموت وتسيطر على الأبيات الجمل الفعلية عاكسة فعلية الموت والحرب وحركتهما ، على حين تكاد تغيب الجمل الاسمية ، ثم تتواصل صورة الحركة المتتابعة والاضطراب في جميع مكونات الوصف في هذا الشعر الذي يتَّسم بالبساطة، والحس الفني الذي يجمع بين الرقة والعفوية. وفي قوله:أقارع عن دار الخلود جعل الخلود مقابلا للموت حيث اختيار لفظة (دار الخلود) لتتضاد مع (موت) مع أن الشائع وقوع الطباق بين (حياة وموت) ولكن الشاعر قد قصد اختيار ما ذهب إليه ليوضح للمتلقي أن المقابلة الشائعة بين الناس يشوبها شيء من الخطأ الدلالي ، فالموت هو ساعة انتزاع الروح ومفارقة الحياة ، وهذه اللفظة لا تدل على فترة زمانية طويلة تتماثل مع الحياة بمفهومها الواسع . وهي الحياة البرزخية أو الآخرة ، وقد فاجأ الشاعر المستمع بهذا الانحراف الدلالي القائم على الطباق ، فأحدث هذا الاختيار تقنية جمالية.

ولقد وصف الشاعر الحرب وكل شيءٍ وقع عليه بصره فيها ، بل إن قطريّا – في سياق الحرب والغزل – قد وصف المرأة وصفًا بارعًا عبَّر ـ في عمومه ـ عن قيم الجمال الأنثوي لديه. والوصف كان أداته في كل غرض شعري طرقه. ولا يكاد وصفه يصيبه شيء من التطور يُعتدُّ به .بل إنك ترى أن الشاعر على جلالة المضامين التي يطرقها ، –وعكسه أحداث حقبة حساسة من التاريخ العربي الإسلامي ، كان لها آثارها في التصدعات التي شهدها التاريخ فيما بعد – إلا أن ما يغلبه على أبياته الشعرية روح الرسالة التي يحملها ، والفكرة أو الخطاب الديني . ويلحظ الناظر في هذه الأبيات خفوت الجماليات البلاغية ، وجهارة الخطاب الفكري والافتنان به ، وإن كان لم يعدم الإيقاع العالي ، فبنيته اللغوية تتصف بالملحمية الموسيقية ، وذلك أنه يمثل نشيدا وانتصارا لأفكار الخوارج ،أكثر منه انتصارا للفن الشعري . وتلحظ جرس الكلمات المجلل الذي يلهب حماسة المقاتلين. و جل شعراء الخوارج يبثون في ألفاظهم من الحرارة واللوعة ما يجعلها تبدو كأنها"صياغة" جديدة غير معهودة في الشعر القديم. ذلك لأن الشاعر لا يتحرج من أن يكشف عن كل ما يعتلج في باطنه من حرقة أو يثقلها من يأس ، وهكذا تتخذ صيغ"الندبة" و"النداء" في شعرهم وضعاً جديداً وقدرات على الرمز والإيحاء.

وهذا قطري عندما يصف قتل صاحبيه نافع وابن ماحوز، يرى أن المصيبة التي تفوق ذلك هي خوفه من المهلب، فالبطل الشجاع يقدر الرجال حقها، فلا ضير أن امتدح خصمه بصواب الرأي والقدرة على قيادة العساكر وتطويعها ، ثم لا يجد ما يمنعه

من الاعتراف بهزيمته أمام هذا القائد الفذ الذي قهرهم ونفاهم عن مواقعهم في الأهواز، ويعود بعد هذه الصراحة المرة ليزرع الثقة في نفوس عساكره، فيخاطبهم بلسان القائد الأمين ويرسم لهم طريق المستقبل ،الذي لا يرى تحقيق النصر بالسير وراء آمال عراض وسراب خادع، بل بالجهاد والصبر وطلب الاستشهاد(71).

وفي قول قطري (72) :

أقول لنفسي حين طال حصارُها
وفارقها للحادثات نصيرُها
لك الخير موتي؛ إن في الموت راحة
فيأتي عليها حينها ما يضيرُها
فلو أنها ترجو الحياة عذرتها
ولكنها للموت يُحدى بعيرُها

تجد أن في هذه القصيدة مناجاة وحديثا مهموسا للنفس في حال تحيط به ظروف من الحصار وفقدان النصير، والحوار هنا قد أكسب النص نزعة درامية ، فإذا كانت الدراما تعني الصراع، فإنها في الوقت نفسه، تعني الحركة ، التي هي الحركة من موقف إلى موقف مقابل ، ومن عاطفة أو شعور إلى عاطفة أو شعور مقابلين ، وهو يؤمن أن الموت يحقق له التخلص من الحياة وشرورها وظلمها، والآخرة هي النعيم المقيم الذي يطمع في الوصول إليه . وصورة الموت ارتبطت لديه بصورة البعير، "ليجسد من خلالها التلقائية الشديدة والاستسلام الكامل للمصير، فهي قافلة تسير نحو هدف معين رغم الموقف، والحداء يعبر عن قسوة الفراق ... ويعتمد الشاعر على الجمل الفعلية التي تحقق الحركة والحيوية ، وتبرز الصراع الداخلي"(73) وتتراجع نسبة الجُمل الفعلية التي تحل محلها الجمل الاسمية لتبرز حالة الأسى والإحساس بكل معاني الاضطهاد والإحباط الذي سببته... وهي دلالات تلح كثيراً على مفردات معجم الشاعر وتحمل إيحاءات تختنق بها نفسه.ويقدم قطري باستمرار – في سبيل تحبيب القتال وتقريع الجبان– من تجاربه الشخصية الطويلة في ميدان القتال ما ينفي الشبهة العالقة في أذهان الجبناء وضعفاء الإيمان، من أن تجنب المعركة "قد يبعد شبح الموت، أو يؤجله إلى حين، فيقول داعيا إلى عدم النكوص في مواجهة الموت؛ إذ إن هذه المواجهة تُكسب المرء ثقة وعزيمة وتطرد بقايا الخوف من نفسه، وهذا الموت لا بد منه ، طال العمر أم قصر(74):

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجام
يوم الوغى متخوفاً لحمامِ
فلقد أراني للرماح دريئة
من عن يميني مرة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي
أكناف سرجي أو عنان لجامي
ثم انصرفت وقد أُصبتُ ولم أُصَب
جذع البصيرة قارح الأقدامِ
متعرضاً للموت أضرب معلماً
بهم الحروب مُشَهَّر الأعلامِ
أدعو الكماةَ إلى النزال، ولا أرى
نَحْر الكريم على القنا بحرامِ

فمن اندفاع قطري في طلب الموت يأتي شعوره بالأمن، بل يتحقق انتصاره على الفناء، فهذا الموت هو " قرين السكون والثبات الذي تدعوه إليه الحياة.... والحياة قرينة الحركة والطواف والصعلكة، فالحرية هي" رقية ضد الموت، والخارجي قايضَ الموتَ على ثمنٍ هو خلود الذكر، ومن إدراكه لهذه الحقيقة تأتي شجاعته"(75).

ويقول قطري(76):

حتى متى تخطئني الشهاده
والموت في أعناقنا قلاده

ليس الفرار في الوغى لي بعاده
يا رب زدني في التقى عباده
وفي الحياة بعده زهاده

في هذه الأبيات تظهر المفارقة بين الحياتين ، ومن الواضح استلهام هذا المضمون من موقف الإسلام ونظرته إلى الحياة الدنيا وما بعدها من الحياة والخلود والنعيم في الدار الآخرة كما تضافرت على إيراد ذلك وبيانه الكثير من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهذا المعنى القائم على النظر إلى الحياة باحتقار وازدراء أو عدم الأسف عليها ، وهذا المعنى هو الرؤية التقليدية المتكررة في الرثاء ، وعدم الأسف على الحياة. وقد يكون في ذلك محاولة من الشاعر للانعتاق من ألم الإحساس بحقيقة الموت إذ يعدل عن التحدث عن ذاته " تخطئني" إلى التحدث عن الجماعة ، وهو ما يسمى بالالتفات ، ثم هو يطلب الموت، ويجاوز نفسه مبدياً رغبته في موت الخير ، وهو الشهادة في سبيل معتقده ، وهو يعذل نفسه لأنه يعرف أنها زاهدة في الحياة، والشهادة خير وأنفع للتخفيف من فجيعته بمن فقد من أصحابه ؛ اطمئناناً إلى أنهم أصبحوا في جنات الخلد، وأن الذاهبين منهم قد حققوا سعادتهم الأبدية بهذا الموت الذي نالوه في ساحات الوغى.

ويقول قطري(77):

يا نفس لا يلهينك الأمـل
فربَّما أكذب المنى الأجل

وكما تكون مصادر الصورة حسية ملموسة يستمدها الشاعر مما حوله من الطبيعة الحية ،فإنها قد تكون غير حسية أو طبيعية ، وهذا النوع أكثر ما يبرز فيه تصوير المعاني العامة ومن أمثلته قول قطري(78):-

ورب مصاليتٍ نُشاطٍ إلى الوغى
سراع إلى الداعي كرام المقادم
أخضتهم بحرَ الحِمام وخضته
رجاء الثواب لا رجاء المغانم
فأُبْنا وقد حُزْنا الثوابَ ولم نُرد
سوى ذاك غنما وابتناء المكارم

فالتشخيص هنا يتمثل في إبرازالموت بحرا ، والمكارم تبتنى ابتناء والثواب يحاز، وهدف هذه الصورة يكاد يكون واحدا إن لم يكن متقاربا ، وقد أوجد هذا التكثيف ثراء خياليا خصبا في مادة الصورة الشعرية ، وقد عوض هذا الثراء في دلالته وقيمته المعنوية ما نشاهده من التقليدية وغياب الابتكار والتجديد في التصوير ، حيث إن هذه الصور المتتالية جميعها من المستهلك المكرور .

على أنه تجدر الإشارة إلى أن الشاعر يؤكد أن الدولة لم تكن هدف الخوارج ، وهم حقا لم يمتلكوا تصورا أو مخططا للإمساك بالسلطة ، وقد وجدوا أن الدولة القائمة هي دولة اغتصبت السلطة من الأمة، وهدف الخوارج إذن ليس إقامة الدولة، بل تحطيم الدولة القائمة. والموت الذي أصبح قريناً لكل خارجي، يراه في صلاته وصيامه وفي وجه عدوه، ويرى الموت باباً إلى حياة النعيم الخالدة.

وهنالك القصيدة الميمية السائرة لقطري بن الفجاءة ، فأنت تجد في شعر قطري الفروسي أثارة من غزل طفيف توجه به إلى المرأة ، وهو يرد في معرض الفخر بانتصاره لعقيدته ، والزهو بفروسيته وشجاعته. وهذه المرأة التي ذكرها في شعره مرة واحدة فحسب هي (أمّ حكيم) ، ويذكر عنها أنه قد تقدم كثيرون لخطبتها فردتهم. وكانت زوجته التي يحبها لأنها كانت من طراز فريد: جميلة، شجاعة، مقاتلة. وقد تغزل بها في شعره. يقول فيها (79):

لعمرك إني في الحياة لزاهـد
وفي العيش ما لم ألق أُمَّ حكيمِ
من الخفرات البيض لم أر مثلها
شفـاءً لذي بثٍّ ولا لسقيـمِ

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت
طعانَ فتى في الحرب غير لئيمِ
فلم أر يوماً كان أكثرمقعصــاً
يمج دماً من فائظٍ وكليمِ
وضاربةٍ خداً كريماً على فتىً
أغرّ نجيب الأمهات كريمِ
أصيب بدولابٍ ولم تك موطناً
له أرضُ دولابٍ ودير حميمِ
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنـا
تبيح من الكفار كل حريمِ
رأت فتيةً باعوا الإله نفوسهـم
بجنات عدن عنـده ونعيـمِ

وحب المرأة في شعر قطريّ دليل على الإحساس بالحياة والاستمساك بها، فالمرأة تنطوي على جوهر الحياة وروحها،وحضورها هو الذي يمنح الحياة بهجتها ، وتتجاوز أم حكيم دلالتها التاريخية امرأة ومحبوبة للشاعر إلى الدلالة الرامزة إلى الحياة والشاعر ،الذي يجد نفسه في صراع ومواجهة باستمرار ، وهذا ما يزيد شعوره بذاته وحضوراً أمام ذاته(80). وقد" اتخذت المرأة وضعاً جديداً يختلف اختلافاً تاماً عن وضعها في الشعر التقليدي ، فهي ليست موضوعاً للغزل العاطفي الذي يبث فيه الشاعر أشواقه وحرمانه ، بل هي رفيق كفاح للشاعر تخوض معه المعارك أحياناً ،وتبلى بلاء لا يكاد يقل عن بلاء الرجال"(81) ،وهي حبيبة يفيء إليها الشاعر، ويبوح بأسرار قلبه لها ، وبما يدور في عقله ، فكأنما يريد منها أن تكون الشاهد الثقة الأمين عليه. وتتمثل صورة البطل الخارجي في شخصية قطري الذي كان فارس الأزارقة وأميرها زهاء عشرين عاماً.

أما إيقاع الاشتقاق في القصيدة، وهو التكرار الذي يتم بين الكلمات المشتقة من الجذر اللغوي نفسه، إلا إنها تختلف فيما بينها في البنية الصرفية، – فهو تكرار يقدم إيقاعاً داخلياً؛ ذاك أنه يعتمد تقديم النغمة الموسيقية للأصوات وإن تباينت مواطنها، فتكرار الكلمات التي تبُنى من أصوات واحدة يستطيع الشاعر بها أن يخلق جواً موسيقياً خاصاً يشيع في النص دلالة معينة ، وقد شكّل تكرار الاشتقاق في نص الشاعر درجة عالية، وهو –بلا ريب– ضرب من ضروب تأكيد المعنى و تعميق الدلالة في النص ، لا بل إن النسبة المرتفعة التي يحتلها هذا النوع من التكرار ليدل دلالة واضحة على تلك الرغبة الجامحة من لدن الشاعر في إبراز الإيقاع الداخلي، وذلك من خلال تكراره لأصوات الجذور نفسها في بنى القصيدة، والشاعر وجد في اهتمامه اللافت لاستخدام الاشتقاق، ثم في مجانسته أصوات الكلمات وسيلة لإثراء الموسيقى الصوتية ، معتمداً على عاملي المجانسة في الوزن والصوت ، وعلى الجمال الإيقاعي في تكرار الصوت وملامح المعنى

أما الإيقاع الصرفي: وهو تكرار صيغة صرفية مشتقة كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وغيرها من المشتقات تكراراً متتابعاً دون أن يكون بين الصيغ المكررة أصل لغوي واحد يربطها؛ بل يكون لكل صيغة منها جذر لغوي مختلف، فإن من ذلك قول الشاعر في قصيدته : (حكيم ،كريم ،حريم ،لئيم ..نعيم) فإننا نلحظ فيها تكرار وزن فعيل ،وذلك أن الشاعر قد قدّم بهذا التكرار إيقاعاً داخلياً جميلاً، وإن كان ذلك نابعاً من التزامه بضرورات التقفية، فجاءت هذه الكلمات قوافي الأبيات المذكورة في القصيدة، ثم جاء هذا التكرار ليعين على تقوية إيقاع الفكرة، فهو يكرر هذه الصفة لتقرّ دلالتها في ذهن المتلقي؛ ذلك أنها عامل من عوامل تحريك الدلالة وتقويتها، من حيث إن أغلب هذه الكلمات المكررة ضمن هذه الصيغة فقد جاءت متعلقة بالشاعر وأحواله، فكشف هذا التكرار عن حال الشاعر.

وتجدر الإشارة الفنية إلى أن شعر الخوارج –

ومنهم قطري – جاء على الأوزان الخليلية المعروفة وقد كان أغلب هذه البحور ورودا البحور الطويلة ، وهذا النوع من الأوزان يتفق مع الشجن والتذكر والحنين ، كما أنها تعطي إمكانيات للسرد والبسط القصصي والعرض الدرامي ، وهذا أمر يتطلبه الرثاء عند تعداد مآثر الموتى – وهو غرض كثر في أشعارهم – أو سرد القصص المأساوية المؤثرة في المعارك والنكبات العامة ، كما أن تلك الأوزان صالحة للحوار والجدل أو التعمق الفلسفي وذلك ما يستدعيه التأمل والتفكر العميق عند الانصدام بمفاجأة الموت ومواجهة فاجعته وأثره .

ولما قعد أبو خالد القناني بعث إليه بقصيدة يقرّعه فيها ويحثه على النفير ، أو ربما كان الشاعر يهدف إلى تأكيد وتثبيت حتمية الموت بقوة شديدة ، و هو يرى أن لا عذرلقاعد أي: لا عذر لمن لا يخرج لقتال مخالفي الخوارج .

(ويقول قطري :)[82]

أبا خالد ؛ انفر، فلست بخالد
وما جعل الرحمن عذراً لقاعد

يلفت نظره إلى مصيره المحتوم، وأنه سيبعث إلى حساب عسير، يوم يغدو الناس على ربهم حفاة عراة، فلا يؤخذن عقله بخفض عيش أو بسراب زائل .ويطلب إليه التوبة إلى الله من ذلك الذنب الذي وقع فيه، وأن يتهيأ للمسير إلى ساحة الجهاد، حيث تنتظره تجارة لن تبور.

ومعلوم أن التعسف والقمع الذي لحق بالخوارج على يد الأمويين –وخاصة في العراق– وسوء المعاملة التي كانوا يلقونها من عمال الأمويين دفع بهم إلى الثورة ومواجهة أعدائهم بإرادة قوية، وكانت النهروان عند الخوارج رمزاً حياً للبطولة والفداء ، وقد ترك موت الذين اشتركوا في هذه الموقعة دفاعاً عن العقيدة التي تربط بينهم، فكان شعرهم تعبيراً بالفن عن عقيدتهم بالموت والخلود، وعن تجربتهم المعيشة بما يتخللها من معارك ومواجهات شكلت جزءًا كبيراً من حياتهم ، فالحرب لم تكن عملاً آنياً أو استجابة لظروف معينة ، وإنما هي ركن أساسي في عقيدتهم ، فلم تتوقف ثوراتهم معتمدين على روح مندفعة للقتال. ولهذا فإن مفهوم الحياة عند شعراء الخوارج يتنافى مع الاضطهاد والامتثال لتسلط الحكام، ومن أجل هذه الأفكار كانوا في مواجهة مباشرة ودائمة مع الموت، وهذا الإصرار على مواجهة الموت كان مبعثه الاطمئنان إلى مآلهم بعد الموت.

ويقول قطري[83]:

ألا أَيُّها الباغي البِرازَ تَقَرَّبن
أساقِكَ بالمَوتِ الذُعافَ المُقَشَّبا
فَما في تَساقي المَوتِ في الحَربِ سُبَّةٌ
على شارِبَيهِ، فَاسقِني مِنهُ وَاشرَبا

وهما بيتان يستحقان وقفة تأمل، نظرا لما يحملانه من شحنة وجدانية مؤثرة، ويبقى أبدع ما فيهما هذا الحس الدرامي العنيف، الذي يصورالموت في صورة فنية ،فالموت سم يقتل لساعته بالنسبة لعدوه وأما بالنسبة للشاعر فإنه لا يرى بأسا في سقيا الموت أنها كسقيا العسل الماذي من وجهة نظرهم حين قال شاعرهم وقد أشار البحث إليه سابقا:

من كان يكره أن يلقى منيّته
فالموت أشهى إلى قلبي من العسلِ
فلا التقدم في الهيجاء يعجلني
ولا الحذار ينجّيني من الأجل

الهوامش

× الحرورية من الخوارج الذين خرجوا إلى حروراء . وكان فيها اجتماعهم وإظهارهم العداء لعلي – رضي الله عنه– . ×الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق سنة 65هـ

(1) لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العصر الأموي، دار الطليعة بيروت،2000. ص36.

(2) نايف معروف ،الخوارج في العصر الأموي ،نشأتهم ،تاريخهم ،أدبهم ،...،دار الطليعة ،بيروت،1994، ص 259.

(3)أحمداسماعيل عبدالرزاق" الخوارج في بلاد المغرب، الدار البيضاء (د.ت).ص55 وعامر النجار، الخوارج؛ عقيدة وفكراً وفلسفة، مكتبة المقدسي، بيروت ط1، 1996.

(4) عامر النجار، الخوارج، عقيدة وفكراً وفلسفة، (م.س) ص 207.

(5) المبرد، محمد بن يزيد 285هـ898-م، الكامل في الأدب، مكتبة المعارف، بيروت، مصورة عن الطبعة المصرية،(ج2 /ص178) ومحمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971، ج1، ص81.

(6) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ، 2 (م.س) ص118 والخوارج في بلاد المغرب، (م.س)، ص (52).

(7) إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، 1982 ،ط4 ،ص134.وقد جمع شعر الخوارج ومنهم قطري ،ولذلك سأشير إليه كثيرا في هذه الدراسة .

(8) أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، دار الحوار، اللاذقية، ط2000، ص63.

(9) إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص 195.

(10) أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، (م.س)، ص53.

(11) إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج،(م.س)، ص44.

(12) ينظر من الأمثلة على ذلك: إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، شعر عمران بن حطان، ص 15،14، البيتين 1و02 و ص 156 البيت (14) والطرماح بن حكيم ص 236 البيت 9، والعيزار بن الأخنس ص32،

الأبيات (9-1) والرهين بن سهم المرادي ص 62، الأبيات (6-1) وقطري بن الفجاءة، ص108 وص 121-120، الأبيات (5 وما بعدها)، والبهلول الشيباني ص201 البيت (2) وغيرهم.

(13) عبدالرحمن بدوي، الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات الكويتية، دار القلم، بيروت، ص 11.

(14) محمد الزير، الحياة والموت في الشعر الأموي، دار أمية، الرياض، 1989، ص71.

(15) نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي نشأتهم، تاريخهم، .. (م.س)، ص58.

(16) سورة الأعراف، الآية (3)، وسورة ا لبقرة، الآية (168)، وسورة الأنفال، الآية (69)، وسورة القصص، الآية (77).

(17) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج (م.س)، ص9 ونايف معروف، الخوارج في الشعر الأموي (م.س)،ص86.

(18) أحمد، معيطة، الإسلام الخوارجي، (م.س). ص58

(19) نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي (م.س)، ص 271.

(20) أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، (م.س)، ص 62.

(21) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج (م.س)،

ص 218.

(22) آل عمران،169

(23) البقرة؛154

(24) علي القاسمي، مفاهيم العقل العربي، دار الثقافة، مؤسسة الدار البيضاء ط1، 2004، ص286.

(25) عبدالرزاق الدليمي، هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001، ص 46.

(26) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص219.

(27) أحمد معيطه، الإسلام الخوارجي، (م.س)، ص 88.

(28) أحمد معيطه، المرجع السابق، ، (م.س)، ، ص89.

(29) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص232.

(30) أحمد معيطه،الإسلام الخوارجي، (م،س)، ص89.

(31) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج (م.س)، ص66.

(32) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص175. وكسكر: كورة واسعة كانت واسط في أيام الحجاج قصبتها.

(33) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص155.

(34) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص143

(35) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص66.

(36) إحسان عباس، المصدر السابق، ص24 وقول الطرماح ،(م.س)، ص262.

37) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص89

(38) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص164.

(39) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص65.

(40) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص160.

(41) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص106.

(42) إحسان عباس، المصدر السابق، (م.س142) ،66، 111، 126، 155، 218...الخ.

(43) أحمد معيطة ، الإسلام الخوارجي، (م.س) ،ص 103.

(44) نعمان القاضي، الفرق الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص 437.

(45) إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج،(م.س)، ص71.

(46) إحسان عباس ، المصدر السابق، ، (م.س)، ص163.

(47) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج. (م.س)،ص172

48) إحسان عباس، المصدر السابق، ، . (م.س)،ص 159.

49) إحسان عباس، المصدر السابق،. (م.س)، ص168.

(50)عبد الرزاق الدليمي، هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001، ص295.

(51)إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج . (م.س)،،ص70

52) إحسان عباس، المصدر السابق،. (م.س)،. ص55

(53)عبد الرزاق الدليمي، هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي،(م.س)، ص316.

(54)إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، ،(م.س)، ص 64.

(55) فاطمة السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص72.

(56)الاغتراب: اصطلاحاً ومفهوماً، مجلة عالم الفكر، مج1 / ع1، 1979، ص25.

(57)إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج، ،(م.س)، ص 257

(58)أحمد عبد المعطي حجازي، قصيدة لا: قراءة في شعر التمرد والخروج، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1989،

(59)إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص74

(60) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص221.

(61) أحمد عبد المعطي حجازي، قصيدة لا: قراءة في شعر التمرد والخروج،(م.س) ص38.

(62) المبرد، الكامل في اللغة والأدب ،(م.س) ،ص115.

(63)قطري من فرسان الأزارقة الشراة وشجعانهم، وحينما توفي زعيمهم سنة (68 هـ) دعوه أمير المؤمنين حتى مقتله سنة(78هـ/ 697م)بايعه الأزارقة أميراً عليه، ولشجاعته وبسالته في المعارك سموه أمير الموت. اشترك في حروبهم وأيامهم حين شهروا السيف على مصعب بن الزبير بالعراق، واجه المهلب بن أبي صفرة الأزدي وأبنائه المفضل والمغيرة ويزيد ومدرك وعبدالرحمن بن مخنف سيد الأزد بالعراق وعبدالرحمن بن محمد الأشعث الكندي وغيرهم، فاستطاع هؤلاء القواد تنحيته شرقاً عن البصرة والكوفة بعد كرٍّ وفرٍّ –جماعات ووحدانا– وبعد عناء الحرب الطويلة والمضنية استطاع المهلب إزاحة قطري والأزراقة عن ضواحي المدينة إلى أصفهان، وفي أرضها وأرض الأهواز وكرمان اقام قطري دولة وجبى الأموال فاجتمعت إليه جموع كبيرة فقوي أمره وصار يتطلع إلى الاستيلاء على البصرة، وأخذ المهلب في محاولته لكبح جماحه، وصار المهلب يكاتب أهل اصطخر والقرى المجاورة سراً فعلم قطري فهجم على اصطخر وهدمها على أهلها وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه أزاذمَرْد بن الهِربْذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها، ولما تولى بشر بن مروان ولاية العراق من قبل أخيه عبدالملك بن مروان –أمير المؤمنين– تولى محاربة الأزارقة عدد من قواد الأمويين فانهزم بعضهم وقتل بعض فجاشت فرسان البصرة من الأزراقة حتى أصبحوا على مشارف الكوفة والبصرة مما حير عبد الملك فولى المهلب محاربتهم مرة أخرى، وكان بشر عزله عن ذلك، فصار يمد المهلب بالمال والسلاح والرجال ويتابع حثه وتوجيهه فواجههم المهلب في معركة شديدة سنة 75هـ قتل فيها ساعده الأمير عبدالرحمن بن مخنف الأزدي ،وكادوا يطالون المهلب نفسه فشد وحزم أمره وعزم على مناجزتهم فلاقاهم في وقائع كبيرة ،والحجاج يمده بالرجال والسلاح حتى أزاحهم إلى طبرستان بعد وقعة البستان من أرض كرمان ثم أوقع بهم في معركة يوم سابور حتى عاد المهلب إلى العراق وولي ولاية. أما الأزارقة فبعد هزيمتهم دب الخلاف بينهم وانقسموا على قطري حتى ضعف أمره وانتهى بمقتله سنة 77هـ كما في الطبري. وذكر ثلاثا من مواهبه الفذة وصفاته المحمودة وهي :الشجاعة والخطابة وفحولة الشعر . وذكر ابن حزم سلسلة نسبه حتى تميم بقوله: ==الخارجي الأزرقي الذي سلم عليه بالخلافة عشرين سنة ،وهو قطري بن الفجاءة، والفجاءة لقب لأبيه لأنه غاب إلى اليمن، ثم

أتى قومه فجأة، واسمه جَعْوَنة بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، -ذكر ابن عبد ربه أنه: أحد فرسان العرب في الإسلام، وروى ابن قتيبة، قال، قال الزبيري: ما استحيا شجاع أن يفر من عبدالله بن خازم السلمي وقطري بن الفجأة. وتتجلى شجاعة قطري وفروسيته في بعض أشعاره التي تعد لهيباً من البطولة وجأش النفس وبأس الإقدام ، على أنه كثير ما كان يتفادى اللقاء والمواجهة المباشرة مع أبطال امثال المهلب بن أبي صفرة أو عمر بن عبيدالله بن معمر أو حتى سفيان ابن الأبرد، فهو شجاع داهية حذر، ينظر: لابن حزم جمهرة أنساب العرب، ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر 1382هـ، ص212.و- لابن عبد ربه العقد الفريد، ، تحقيق : سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1372هـ ج1 - 83 و-عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن الطبعة المصرية، 212/10. و- للمبرد، الكامل في اللغة والأدب،2، مكتبة المعارف، بيروت، مصورة عن الطبعة المصرية، 250/1.

(64) المبرد، الكامل (م.س) ص123.وإحسان عباس، ديوان شعر الخوارج ،(م.س) ص120

(65) المبرد، ، المصدر السابق، (م.س) ص154.

(66) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص123-122-.

(67) نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي (م.س)، ص 271.

(68) ابن خلكان، توفي 681هـ1282-م وفيات الأعيان، دار صادر،بيروت ، تحقيق: احسان عباس،(د.ت) ج94/4.

(69) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص 124.

(70) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص 125.

71)نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي (م.س)، ص 263.

(72) إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص132

73) فاطمة السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي ،(م.س)، ص238.

(74)إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص126.

(75) أحمد عبد المعطي حجازي، قصيدة لا: قراءة في شعر التمرد والخروج، (م.س)، ص38.

(76)إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص129.

(77) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص127 .

(78) إحسان عباس، المصدر السابق، ، (م.س)، ص133 .

79)إحسان عباس، ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص 121

(80)زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، سلسلة مشكلات فلسفية، (د. ت) ص97

(81)عبد القادر القط ، في الشعر الإسلامي والأموي ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1979،ص379

(82)إحسان عباس،ديوان شعر الخوارج، (م.س)، ص 119

(83) إحسان عباس المصدر السابق، ، (م.س)، ص 127

المصادر والمراجع

-ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر 1382هـ.

-ابن خلكان، توفي 681هـ1282-م وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر،بيروت ، (د.ت)

-ابن عبد ربه،أحمد بن عبد ربه، توفي (ت 328هـ/939م، العقد الفريد، ، تحقيق : سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1372هـ

- ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (276 هـ/899 م) عيون الأخبار، تحقيق: يوسف الطويل ومفيد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة عن الطبعة المصرية.

-المبرد، محمد بن يزيد 285هـ/ 898م، الكامل في الأدب، مكتبة المعارف، بيروت، مصورة عن الطبعة المصرية.

-حمد عبد المعطي حجازي، قصيدة لا: قراءة في شعر التمرد والخروج، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1989.

-إحسان عباس ، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982.

-أحمد معيطة، الإسلام الخوارجي، دار الحوار، اللاذقية، ط2000.

-زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، مكتبة مصر، سلسلة مشكلات فلسفية، (د. ت)

- عامر النجار، الخوارج؛ عقيدة وفكراً وفلسفة، مكتبة المقدسي، بيروت ط1، 1996.

- عبدالرحمن بدوي، الموت والعبقرية، وكالة المطبوعات الكويتية، دار القلم، بيروت.

-عبدالرزاق الدليمي، هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001.

-عبد القادر القط ، في الشعر الإسلامي والأموي ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1979.

- علي القاسمي، مفاهيم العقل العربي، دار الثقافة، مؤسسة الدار البيضاء ط1، 2004.

- فاطمة السويدي، الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

- قيس النوري، الاغتراب: اصطلاحاً ومفهوماً، مجلة عالم الفكر، مج1 /ع1، 1979

- لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العصر الأموي، دار الطليعة بيروت،2000.

- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971.

- محمد اسماعيل عبدالرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، الدار البيضاء (د.ت).

- محمد الزير، الحياة والموت في الشعر الأموي، دار أمية، الرياض، 1989.

- نايف معروف ،الخوارج في العصر الأموي ،نشأتهم ،تاريخهم ،أدبهم ،..،دار الطليعة بيروت،1994.

-النعمان القاضي، الفرق الإسلامية، دار المعارف(د.ت)